تطور الثورة خلال المرحلة الأولى والصعوبات التي اعترضتها
1956.1954

د. مقلاتي عبدالله . جامعة المسيلة-الجزائر

ملخص :
في هذا المقال حاولنا دراسة تطورات المرحلة الاولى من مسيرة الثورة التحريرية، وبينا أهم الصعوبات التي اعترضتها وسبل مجابهتها، وقد سجلنا في خلاصة البحث أن مجموعات جيش التحرير الوطني الأولى تحملت العبء الأكبر في التأكيد على استمرارية الثورة بعد اندلاعها، فرغم ظروفها التنظيمية وقلة الإمكانيات والسلاح واصلت تنفيذ إستراتيجية عمل ثورية للحفاظ على شعلة الثورة ملتهبة. كما أن قيادة الوفد الخارجي بذلت جهودا كبرى وهي تعمل من أجل وحدة المعركة في الشمال الإفريقي وكسب الدعم العربي والدولي، وعلى الرغم مما يقال عن تقصير للوفد الخارجي في تأدية مهامه وخاصة مسألة التسليح فإن العمل العلني والسري الذي أنجز ساهم بفعالية في التعريف بالقضية الجزائرية سياسيا، وفي تشكيل تحالف شمال إفريقي موحد في وجه السياسة الفرنسية، وفي إرساء شبكات دعم لوجستيكية أدخلت كميات هائلة من الأسلحة.

مقدمة:

يمثل صمود الثورة بعد تفجيرها الرهان الحقيقي لنجاحها، وفي حالة الثورة الجزائرية يبدوا في تصورنا أن الإستراتيجية الواقعية التي نهجها القادة التاريخيون استطاعت أن ترسخ أقدام الثورة وتوطد دعائمها، وقد كانت مرحلة تحضيرية وتنظيمية لعمل ثوري دقيق وشامل، ومع ذلك اصطدمت الثورة بكثير من الصعوبات التي أعاقت سيرها، فهل استطاعت قيادة الثورة أن تتغلب على هذه الصعوبات وأن تصمد في وجه السياسة الفرنسية الهادفة لإجهاضها في المهد؟.

أولا : توسع نشاط الثورة في الداخل

سطرت قيادة الثورة إستراتيجية عمل في الداخل ترمي الى تثبيت جبهة التحرير الوطني سياسيا وعسكريا وإرساء حالة اللا أمن في البلاد ثم وصولا الى تحرير مناطق مستقلة، وقد اعتمدت في التسيير مبدأ اللامركزية والجمع بين العمل السياسي والعسكري، ووفقا لذلك خططت لقطع مسيرة ما بعد نجاح تفجير الثورة، وكان التعويل كما يبدوا من إستراتيجية العمل مركزا على قيادة المناطق في الداخل، حيث كان يتوجب عليها أن تصمد في مواجهة ردة الفعل الفرنسية وأن تحافظ على جذوة اشتعال الثورة ملتهبة([1]).

إن هدف غرس الثورة وتثبيتها يتطلب عملا ميدانيا نشطا، يرتكز على العمل السياسي في أوساط الشعب الحاضن الأساسي لهذه الثورة، وتعزيز القدرات العسكرية والمعنوية والتقنية لجيش التحرير الوطني، ونشر أفكار الثورة ومبادئها السامية والقائمة على مشروعية الكفاح المسلح من أجل تحقيق الاستقلال التام.

وأما مخطط نشر حالة اللا امن عبر كافة أنحاء الوطن فكانت تتطلب القيام بعمليات عسكرية متواصلة ومؤثرة على الوجود الفرنسي، وذلك من أجل إرباكه وإرغامه على الاعتراف بخصمه والتفاوض معه، وكانت قيادة الثورة اعتمدت لقلة إمكانياتها على أسلوب حرب العصابات واعتقدت أن ذلك كفيل لإرغام العدو على إيجاد حل سياسي للمشكلة.

وسوف يتأخر موعد تحرير مناطق يستقل بها جيش التحرير الوطني لأسباب موضوعية، ولكن تجربة الاستقلالية بمناطق محررة أفادت في تجسيد مبادئ الثورة وسياساتها، وذلك بالشكل الذي يخدم أفكارها ويعزز التحدي والأمل في تحرير كامل الوطن([2]).

وعمليا واجه صمود الثورة في مرحلة الانطلاقة صعوبات جمة ترجع الى قلة التنظيم والاستعداد، فجل المناطق عدا منطقة الاوراس لم تستكمل التحضيرات التي تسمح لها بمواصلة العمليات المسلحة، وبالرجوع الى بعض شهادات الفاعلين ومحضر مؤتمر الصومام الذي سجل إمكانيات المناطق مع انطلاقة الثورة نلاحظ قلة في عدد المجاهدين (حوالي ألف مجاهد)، ونقصا في كمية ونوعية السلاح (غالبيتها بنادق صيد) وشحا في الميزانية([3])، وقلة الإمكانيات هذه مضافا إليها ظروف التشويش التي اندلعت فيها الثورة (انقسام الحزب ومنافسة مصالي) صورت لكثير من المناضلين أن تفجير الثورة يعد مجازفة أو عمل جنوني، وهو ما عبر عنه عبان عندما أعلم لحظة الإفراج عنه بإمكانيات الثورة المتواضعة وأحوالها التنظيمية، ولم يكن يعلم بحجم التحدي الذي قرر مفجروا الثورة رفعه([4]).

لقد كان يتوجب على المجموعات المفجرة للثورة أن تعود بعد عمليات فاتح نوفمبر الى ملاجئها النائية وتأخذ وقتها في التنظيم والاستعداد للمجابهة الحاسمة، وكان هذا الأمر مبرمجا، حيث كان التعويل خلال الستة أشهر الأولى في استمرارية الثورة على منطقة الاوراس، وقد تعهد قائدها ابن بوالعيد بهذا الأمر في الاجتماعات التحضيرية لاندلاع الثورة([5]).

ولهذا نسجل عموما تركز العمليات العسكرية خلال المرحلة الأولى في الاوراس، الأمر الذي صور للإدارة الفرنسية أن الثورة محصورة هناك ويمكن بالتالي وئدها بسهولة، وأما المناطق الأخرى فكانت تسارع الوقت لتركيز تنظيمها السياسي وبناء هياكلها العسكرية، وقد وضعت نصب أعينها تحقيق الأهداف الإستراتيجية الآتية:

- تحضير العمل السياسي ليكون أرضية للعمل العسكري، ويشمل هذا التحضير التعريف بأهداف الثورة ومبادئها، وكسب الأنصار لها، وتشكيل تنظيم سياسي قاعدي يضمن غرس جبهة التحرير الوطني في كل دوار وحي، ويلبي متطلباتها من دعم لوجستيكي وتجنيد وأخبار وقت الحاجة.

- تنظيم وتدريب فرق جيش التحرير الوطني لتقوم بواجبها على أكمل وجه، حيث وضعت شروط صارمة لتجنيد المصممين والقادرين على حمل السلاح، سواء كانوا مجاهدين أو مسبلين أو فدائيين، وتم تنظيم الفرق العسكرية وتدريبها على حرب العصابات، كما حددت الصلاحيات والأهداف، وكانت هذه الفرق تقوم بنصب الكمائن وتخريب منشآت العدو وتطهير الساحة من الخونة.

ومن خلال رصد نشاط المناطق السياسي والعسكري يمكننا أخذ فكرة عن طبيعة وتطور هذا النشاط الثوري. ففي منطقة الاوراس صمدت الثورة بعنفوانية وشموخ، وذلك رغم إجراءات الوأد العسكرية والسياسية والحصار المفروض عليها، لقد استمرت تلك الأفواج العسكرية المحضرة بشكل جيد في ضرب الأهداف الاستعمارية، وكان ابن بوالعيد بحكمته وأبوته موجها سياسيا وقائدا عسكريا، تمكن من غرس أفكار الثورة وتوحيد كلمة العروش، وزرع تنظيم الثورة ومده شرقا إلى النمامشة وسوق أهراس وغربا الى المسيلة وبريكة وجنوبا الى بسكرة وواد

سوف، وجند أعداد كبيرة من الأفواج المقاتلة، وقد حققت تلك الأفواج انتصارات باهرة في المعارك التي خاضتها، وكانت بحق معركة الجرف عنوانا على شموخ الاوراس، حيث تصدى المجاهدون بقوة إيمانهم وصبرهم لحصار القوات الفرنسية الشرس لمدة أسبوع كامل، ولم يكن اعتقال ابن بوالعيد في الحدود التونسية الليبية

بداية عام 1955 ليفتر نشاط الاوراس، فقد واصل جهاز الإدارة قيادة المعركة بنفس قوي، فأبدع شيحاني بشير بحكمته في تنظيم المنطقة ورفع المعنويات، حيث

بادر في الأسبوع الأخير من سبتمبر 1955 الى تنظيم أيام مفتوحة على الثورة بوادي هلال كان القصد منها التعريف بالثورة وتجنيد الشعب لخدمتها، وأظهر عباس لغرور وشيحاني بشير ولزهر شريط وزيان عاشور رباطة جأش وإقدام بطولي في المعارك التي خاضوها، وتشهد المصادر الفرنسية ذاتها على تزايد قوة ووتيرة العمليات العسكرية في الاوراس([6])، وقد تعرضت منطقة الاوراس في

النصف الثاني من سنة 1955 لأزمة قيادية، بدأت باغتيال شيحاني بشير وانتهت الى بروز انقسام جهوي بين جبهة خنشلة بقيادة لغرور وعجول وجبهة باتنة بزعامة عمر بن بوالعيد، وأدى الصراع بين الجبهتين قبل وبعد هروب مصطفى ابن بوالعيد من السجن الى تزعزع النظام وتقهقر النشاط الثوري، واستطاع ابن بوالعيد

أن يعيد لهذا النشاط وتيرته السابقة ولكنه اغتيل في مارس 1956 وهو يحضر اجتماع قادة المنطقة، وعاد التنافس من جديد ليبذر الفتنة التي بدأت تنخر نظام الثورة في الاوراس([7]).

أما منطقة الشمال القسنطيني فانه وعلى الرغم من الخسارة التي لحقت بقيادة وتنظيم المنطقة في الأشهر الثلاث الأولى إلا أن الثورة ركزت أقدامها، كما وسعت

نشاطها الذي ظهر جليا في هجومات 20 أوت 1955، وقد استشهد باجي مختار في وقت مبكر بعد أيام من اندلاع الثورة، وكان ديدوش يعول عليه كثيرا في إمداد المنطقة بالسلاح لإشرافه على منطقة سوق اهراس الحدودية وعلاقاته مع الثوار التونسيين، وبعد جهد مضني بذله ديدوش في التنظيم والتحضير السياسي وتشكيل

الأفواج العسكرية سقط شهيدا في معركة عين كركر يوم 18 جانفي 1955، واستمر خليفته زيغود على نهجه مستفيدا من الأخطاء السابقة، فقد أعاد إرساء التنظيم السياسي المكتشف وتفعيله، ودرب جنوده على حرب استنزاف طويلة المدى، وباشر تنفيذ هجمات وكمائن دقيقة حققت النتائج المرجوة منها، وكان من بينها كمين غونو قرب قالمة، وهندس زيغود فيما بعد هجماته المنسقة والشاملة ذات

الطابع السياسي، فقد اختار يوم الخامس جويلية 1955 لتنظيم سلسلة كمائن

على الطرق الرئيسية للمدن الكبرى، وخطط ليكون يوم 20 أوت من السنة ذاتها موعدا لهجمات تاريخية، وكان زيغود حكيما في تأكيده على ربط العمل المسلح بالقاعدة الجماهيرية ونقل المعركة من الأرياف الى المدن لتحقيق الانتصار السياسي على العدو([8]).

وفي منطقة القبائل عقد كريم بلقاسم اجتماعا تقييميا في 20 نوفمبر 1954، دعا فيه قادة النواحي إلى إرساء نظام قوي للثورة، وكسب أوساط الشعب لدعم الثورة، والقيام بين الحين والأخر بعمليات عسكرية ذات طابع استعراضي، هدفها إظهار قوة الثورة والتأكيد على استمراري، وفي بداية عام 1955 وعلى اثر استكمال الاستعدادات طلب كريم من قادة النواحي جمع بنادق الصيد من السكان وتنظيم أفواج وفرق الجيش وتكثيف العمليات العسكرية، ودخلت المنطقة مرحلة نشطة من العمل الثوري، وقد دبرت قيادة المنطقة عملية العصفور الأزرق، حيث سمحت لعناصر موالية لها قبول عرض التسلح الذي اقترحه "جاك سوستيل"، وبعد انضمام تلك المجموعات المسلحة لصف الثورة أفشت مخططها الذي نزل كالصاعقة على "سوستيل"، كما نجحت قيادة المنطقة في تأديب أعوان الاستعمار، وإلحاق الأضرار بممتلكات المستوطنين، وعلى صعيد آخر جابهت القوة المصالية التي شكلت بالمنطقة، وفرضت نفوذها على المنطقة الرابعة وعلى مدينة الجزائر التي اسند تسييرها الى عبان رمضان، وحققت المنطقة بذلك نجاحات معتبرة([9]).

وفي المنطقة الرابعة واجهت تنظيمات الثورة الأولى مشاكل عويصة إثر اكتشاف أغلب خلاياها بالعاصمة، وشغل هذا الأمر بال قائد المنطقة الذي قبل في مستهل شهر مارس 1955 قبول مقترح كريم بالاستعانة بعبان في الإشراف على العاصمة، وفي مناطق البليدة نظم سويداني وبوشعيب عدة عمليات عسكرية بمناسبة أعياد نهاية السنة الميلادية (ديسمبر 1954)، وقد وقع بيطاط في شباك الشرطة الفرنسية التي اعتقلته نتيجة خيانة نفذها سليمان لاجودان، وبادر كريم لتعيين أوعمران قائدا على المنطقة، وفي الوقت الذي بدأ فيه عبان يوطد نظام الفداء بمدينة الجزائر شرع اوعمران في توطيد دعائم الثورة بنواحي المنطقة، وقد باشرت المجموعة المسلحة بشن عمليات عسكرية ناجحة في المتيجة والبليدة والمدية والبويرة([10]).

وكانت المنطقة الخامسة متميزة عن المناطق الأخرى بقلة الخلايا الثورية وانكشاف جغرافية المنطقة وكثرة العيون بها، ولعل ذلك وقف أمام الفشل الذي ميز انطلاقة الثورة بالمنطقة، حيث استشهد رمضان بن عبدالمالك مبكرا واعتقل مسؤولون آخرون منهم احمد زبانة، ولهذا قرر ابن امهيدي تجميد النشاط إلى حين تجنيد الخلايا النائمة وإيجاد حل لمشكلة التسليح، وبحثا عن السلاح انتقل في بداية عام 1955 الى المغرب والى القاهرة، ووعد بقرب تسلمه لشحنات الأسلحة القادمة بحرا من مصر الى الريف المغربي، وكان عليه أن يقضي وقتا في التنسيق مع الثوار المغاربة لتوحيد المعركة، وبعد انتظار طويل وجهد مضني حدد تاريخ الثاني أكتوبر موعدا لانطلاق العمليات العسكرية في منطقة وهران وفي الريف المغربي، وفي نهاية عام 1955 عقد ابن امهيدي اجتماعا لقيادة المنطقة في جبل زكري، تقرر فيه استثمار التنسيق مع ثوار المغرب ونقل الثورة الى عمق المنطقة الخامسة([11]).

ويبدوا لنا واضحا أن إدارة المعركة في الداخل خلال المرحلة الأولى للثورة لم تكن بالأمر الهين، وذلك في ظل قلة الإمكانيات والمصاعب التي واجهت الثورة، وقد تحمل مفجروا الثورة مسؤولية تاريخية في ترسيخ قدم الثورة وإرساء نظامها، وهو ما سمح للثورة أن تمضي قدما في تحقيق أهدافها.

ثانيا: نشاط الوفد الخارجي

كلف وفد جبهة التحرير الوطني في الخارج برسم السياسة الخارجية وفق المبادئ المتفق عليها، وانطلاقا من القاهرة قام ابن بلة وخيضر وآيت أحمد ومساعديهم بنشاط حثيث للتعريف بالقضية الجزائرية، ويمكننا حوصلة نشاطهم في النقاط الآتية:

أ . بذل جهوداً معتبرة لتوحيد الأحزاب الوطنية، حيث التحق ممثلوا المركزيين بالجبهة (يزيد ولحول) والتزم الشيخ الابراهيمي بتأييد الثورة، وأبدى ممثلوا مصالي رغبتهم في التحالف مع الجبهة (مزغنة والشاذلي)، وفي 17 فيفري 1955 توجت الجهود الوحدوية بالمصادقة على ميثاق "جبهة التحرير الجزائرية"، والذي وقع عليه جميع ممثلوا التيارات السياسية الجزائرية([12])، ونص الميثاق على انضواء جميع الهيئات السياسية تحت لواء هذه الجبهة، والعمل بكل الرسائل لتحقيق أهدافها، ومبادئها المتمثلة أساسا في:

1- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، الذي هو جزء من العالم العربي الكبير

2- الإيمان بوجوب توحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربي الثلاث: تونس، الجزائر، مراكش.

3- جبهة تحرير الجزائر مستعدة من الآن لتندمج في هيئة أجمع واشمل للأقطار المغاربية الثلاث بنظام يوضح، ومسؤوليات تحدد،وتهيب بالقائمين على الحركات التحريرية في كل من تونس ومراكش أن يضعوا أيديهم في يدنا، وان يعملوا معنا على تأسيس هيئة تنتظم الجميع([13]).

ويبدوا أن خلافات كثيرة أدت الى انفراط عقد هذا التحالف، خاصة أمام مراوغات المصاليين، وعدم التوافق على توحيد التوجهات السياسية بين مختلف الأطراف الفاعلة.

ب . توحيد جبهة الكفاح المغاربية سياسياً وعسكرياً، وقد دعمت مبادئ الثورة الجزائرية أفكار الأمير ابن عبد الكريم الخطابي التي كانت تدعوا إلى وحدة المعركة المغاربية، والتقت كذلك مع الاشتراطات المصرية التي ربطت دعمها بتوحيد الكفاح في الأقطار الثلاثة، وعملت على إنجاح جهود التنسيق بين المناضلين الجزائريين والمغربيين والتونسيين([14]). وقد عمل الوفد الخارجي على إنجاح مهمة تسليح الثورة اعتمادا على التنسيق المغاربي، فعلى الجبهة الشرقية تعاون المسؤولون الليبيون مع ابن بلة والتونسيين من أجل شراء وتمرير الأسلحة، وتقرر أن تفعل الجبهة الغربية ويتم التنسيق أكثر مع المغربيين، خاصة وأن القضية المغربية عرفت تطورات حاسمة، وكان طموح توحيد الجبهتين عسكريا هدفا استراتيجيا

للثورة الجزائرية، ولهذا اجتمع ممثلو جبهة التحرير الوطني بالقاهرة مع علال الفاسي وعبد الكبير الفاسي في بداية عام 1955، وأكدوا على ضرورة تنسيق العمل المشترك وتفعيل نشاط الجبهتين الوهرانية (الجزائرية) والمغربية، مستغلين في ذلك الدعم المصري بالسلاح وتساهل الأسبان في تمرير الأسلحة([15])، وبعد نجاح المباحثات تم الإعداد لإنشاء جيش تحرير المغرب العربي، وهكذا تجسد حلم المناضلين المغاربة في توحيد المعركة ضد الاستعمار الفرنسي، إذ يذكر بوضياف أن وصول باخرة (دينا) في افريل 1955 جاء في ظرف كانت فيه : "الثورة بالقطرين يحدوها الأمل في مصير وحدوي لشمال إفريقيا"([16]).

وقد كان الأمل في مصير موحد لشمال إفريقيا يدفع بالمسؤولين الجزائريين إلى توحيد المواقف السياسية والجبهات العسكرية، وأثمرت مساعيهم نجاحا سياسيا وعسكريا باهرا، ففي الجانب السياسي كانت مهمة التعريف بالقضية الجزائرية وكسب الدعم لها صعبة للغاية حتى في الأوساط العربية والمغاربية، خاصة في ظل التعتيم والمنافسة المصالية لتنظيم جبهة التحرير الوطني الجديد، وفضلا عن مساندة جمال عبد الناصر ومحمد بن عبد الكريم الخطابي منح علال الفاسي وصالح ابن يوسف تزكيتهما للجبهة([17]). وانطلاقا من كسب الدعم السياسي لجبهة التحرير الوطني وانتهاء بتبني مواقف مشتركة حقق التوجه الوحدوي للكفاح المشترك نتائج مهمة في مؤتمر باندونغ، إذا كللت الجهود . كما خططت جبهة التحرير الوطني . بإرسال وفد موحد عن أقطار الشمال الإفريقي الثلاثة ([18])، والقصد من ذلك رفع القضية الجزائرية إلى مصاف قضيتي تونس ومراكش لتأخذ حضها من الحل، وكذا توحيد قضايا المغرب العربي، وقد عبر مؤتمر باندونغ في بلاغه النهائي يوم 24 افريل 1955 عن مساندته لقضايا التحرير في شمال إفريقيا وتأييده لحق تونس والجزائر ومراكش في تقرير المصير وفي الاستقلال، ودعا الحكومة الفرنسية إلى حل القضية حلا سلميا بدون تأجيل ([19])، وعليه فقد جندت جبهة التحرير الوطني مختلف الفعاليات المغاربية والأحزاب الوطنية لخدمة إستراتيجيتها الثورية، وحققت في المرحلة الأولى نتائج مهمة على الصعيد السياسي.

وعلى الصعيد العسكري بعثت الثورة الجزائرية مشروع كفاح عسكري مغاربي، انخرطت فيه جيوش تحرير الأقطار المغاربية الثلاثة، وهو مشروع كان بمثابة حلم سعى لتجسيده الأمير ابن عبد الكريم الخطابي والوفد الخارجي للثورة الجزائرية([20])، وقد تجسد التنسيق بين جيوش حركات التحرير المغاربية في

الميدان، حيث كانت المناطق الحدودية التي تصل الجزائر بتونس والمغرب نقاطا إستراتجية في التواصل، واجتمعت رغبة المناضلين الجزائريين والمغربيين في توحيد جبهتي الريف المغربية ووهران الجزائرية، واللتين باشرتا عملا عسكريا مشتركا بدءا من يوم 2 أكتوبر 1955، حيث أعلن عن تأسس جيش تحرير المغرب العربي، واتخذت منطقة الريف الخاضعة للسيطرة الإسبانية منطلقاً للتزود بالأسلحة وتدريب المجندين وإقامة القواعد الخلفية [21]، كما شكلت منطقة طرابلس قاعدة إمداد متقدمة لمجاهدي المغرب العربي، وعمل بشير القاضي جنبا إلى جنب مع مسؤولي المقاومة التونسية والإخوة الليبيين من أجل توفير السلاح وتدريب المجاهدين وتنسيق العمل الوحدوي المشترك([22])،

وقد حقق هذا التنسيق المغاربي المشترك، وخاصة بين المقاومتين المغربية والجزائرية في بداية أكتوبر عام 1955 نجاحات باهرة، فقد كان لإستراتيجية مغربة الحرب التي تبناها الوفد الخارجي للجبهة نتائج ايجابية على الثورة الجزائرية وعلى الشمال الإفريقي، فقد فتح تجسيد الوحدة العسكرية ميدانيا جبهات عسكرية واسعة، وضرب بقوة الوجود الفرنسي في شمال إفريقيا، مما جعل فرنسا تبادر إلى رسم سياسة جديدة منحت من خلالها الاستقلال لتونس والمغرب وحددت إستراتيجية جديدة لمحاصرة الثورة الجزائرية، وقد تفطنت جبهة التحرير الوطني لمخاطر هذه السياسة، لكن مساعيها في الدعوة إلى احترام الاتفاقات المبرمة ووحدة الكفاح باءت بالفشل، وعلى الرغم من تجسد الخيارات القطرية وبروز الحكومات الوطنية ظلت جبهة التحرير الوطني متمسكة بالدعوة إلى التنسيق والوحدة وفاءً لعقيدة الوحدة ومشروع الكفاح المشترك[23]

ج . كسب الدعم العربي الاستراتيجي: استعان الوفد الخارجي للجبهة بالدعم المصري المقدم من اجل تسليح وتموين الثورة، وكذا من أجل كسب الموقف العربي لدعم القضية الجزائرية، وقد أعرب الملك السعودي وملك ليبيا عن استعدادهما المبكر لدعم الثورة ماديا وعسكريا، وشرع في تجنيد الجامعة العربية والدول والمنظمات الجماهيرية العربية للتضامن مع القضية الجزائرية، وبذل الوفد الخارجي جهودا معتبرة في تفعيل هذا التضامن، وفي كسب المواقف السياسية لصالح مساندة القضية الجزائرية، وقد مثلت بحق الأقطار العربية العمق الاستراتيجي للثورة الجزائرية، فإضافة إلى صنوف التأييد والمساندة المختلفة اجتهدت هذه الأقطار بشكل جماعي وفردي في مؤازرة القضية الجزائرية على الصعيد الدولي.

د . كسب تأييد الدول الافرو . اسيوية: إدراكا من الوفد الخارجي للجبهة بأهمية كسب الموقف الدولي لصالح قضية الجزائر بذل جهودا جبارة لكسب مساندة الدول الأفروأسيوية، وكانت هذه الدول من قبل خاضعة للاستعمار وتعطف على قضايا التحرر، وقد بدأت تبحث عن تكتل لها يدافع عن قضاياها، واستغل الوفد الخارجي هذه السانحة ليحقق دعما معتبرا لقضيته، فعشية انعقاد مؤتمر باندونغ كثف من نشاطه واتصالاته مع مختلف الدول الفاعلة، وخاصة مصر واندونيسيا والهند، وخطط لتنسيق الموقف وعرض قضية الجزائر في إطارها المغاربي، وذلك لتكون في

مستوى القضيتين التونسية والمغربية، وفعلا توجت الجهود بمباركة مؤتمر باندونغ للمطالب الشرعية لأقطار شمال افريقيا الثلاث، وهو مكسب مهم استفادت منه القضية الجزائرية لتشق طريقها نحو التدويل في الأمم المتحدة، حيث طالبت الكتلة الافرواسيوية رسميا في 26 جويلية 1955 بإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة، وشكلت المساندة الافرواسيوية الدعم الأساسي لنصرة قضية الجزائر في هذا المحفل الدولي([24]).

ويبدوا واضحا أن نشاط الوفد الخارجي الذي لم يقتصر على الجانب السياسي نهض بمسؤوليات كبرى في التعريف بالقضية الجزائرية وكسب الدعم العربي والدولي لها، وقد اهتم بإنجاح إستراتيجية مغربة الحرب من اجل مضايقة الوجود الفرنسي والاستفادة من الدعم اللوجستيكي المغاربي وتوحيد قضايا المغرب العربي الثلاث.

ثالثا. صعوبات المرحلة الأولى:

رغم النجاحات التي حققتها الثورة في مرحلتها الأولى إلا أن صعوبات جمة واجهتها. نذكر منها:

. قلة الإمكانيات المادية: حيث مثل عدم توفر الإمكانيات المادية مشكلا حقيقيا لقيادة الثورة، وخاصة المال وهو عصب حياة الثورة، وقد عالج قادة الثورة هذا المشكل بإمكانياتهم الخاصة، فسخروا أملاكهم الخاصة مثلما فعل ابن بوالعيد وابن طوبال، ولجئوا للاقتراض، حيث اقترض مثلا زيغود مبلغ خمسة عشر ألف فرنك للإنفاق على فرق المجاهدين، وقد بدأت تنتظم مسألة تمويل الجيش والجبهة عن طريق الاشتراكات والتبرعات، وكان الشعب سخيا. كما يؤكد ابن طوبال. في الإنفاق على ثورته([25]).

. مشكلة التسليح والتموين: ظلت مشكلة عدم توفر الأسلحة والتموين تشكل عائقا أمام تفعيل قدرات الجيش وتجنيد المناضلين، وذلك رغم وعود الوفد الخارجي بقرب الفرج، وقد اندلعت الثورة من دون أن تدخل أية قطعة سلاح من الخارج، وكان لابد من انتظار أواخر عام 1954 لتبدأ تتسرب بعض القطع، وكانت وتيرة دخول الأسلحة طيلة عام 1955 بطيئة، وخلال عام 1956 أدخلت شحنات معتبرة، لكنها وجهت لمناطق الحدود والاوراس من دون أن تستفيد منها المناطق الداخلية، ولهذا استمر العمل بمبدأ "خذ سلاحك من عدوك" وتم تحاشي المواجهات المباشرة مع العدو، وقد ساد تذمر بعض القادة من تأخر وصول الأسلحة ومن نقص التموين، وذلك على الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها ابن بلة ورفاقه للإيفاء بالتزاماتهم([26]).

. شدة الطوق العسكري الفرنسي الذي شكل خناقا على المجاهدين في بعض المناطق، وخاصة في المنطقة الأولى، ويكفي أن نذكر أن الإدارة الفرنسية جندت كافة طاقاتها لوئد الثورة وهي في المهد، وسارعت للرفع من عدد جنودها في الجزائر، وشنت طوقا شديدا لمحاصرة الاوراس، ومنع انتقال عدوى الثوار الى المناطق الأخرى.

. استشهاد واعتقال عددً من قادة الثورة، حيث استشهد مراد ديدوش ورمضان بن عبدالمالك، واعتقل بيطاط وبن بوالعيد، واضطر ابن مهيدي اثر عجزه عن شن عمليات عسكرية بمنطقة وهران الى دخول التراب المغربي، في حين انشغل بوضياف عن مهمة التنسيق والتسليح بمشاكل تنظيم الجالية الجزائرية في فرنسا، وواجهت ابن بلة والوفد الخارجي صعوبات جمة في توفير الدعم الخارجي للثورة.

. مشكلة المصالية: شكلت معارضة مصالي لجبهة التحرير الوطني ودخوله في صدام معها مشكلة خطيرة، فقد رفض مصالي تأييد جبهة التحرير الوطني وخطط لسحب البساط من تحت قدميها، خاصة من خلال إسراعه بتشكيل "جيش الحركة الوطنية" ودعوة ممثليه في القاهرة للادعاء بأنه هو الذي يقود الثورة، وقد فشلت محاولات الصلح بين الطرفين وأعلنت الحرب التي شملت مناطق النفوذ في فرنسا وفي الجزائر، وخلفت هذه الفتنة كثير من الضحايا، واستغلتها الإدارة الفرنسية لخدمة أهدافها (حركة بلونيس)([27]).

. انعدام التنسيق بين قيادة الثورة: نظرا لاتخاذ مبدأ الاستقلالية في تسيير المناطق واستشهاد واعتقال بعض القادة وشدة الرقابة الفرنسية شهدت الثورة مشكلة تنسيق حقيقية، وقد كان مقررا أن يجتمع قادة الثورة في بداية عام 1955 لتقييم سير المرحلة لكن الاتصال انقطع، ولم يعد بالإمكان لمسؤولي ومجاهدي منطقة ما معرفة ما يحدث في المناطق الأخرى، ونتج عن عدم تنسيق المواقف كثير من البلبلة وعدم وضوح الرؤية، وقد تفطن عبان لأهمية الاتصال والتنسيق بين المناطق وبين قيادة الداخل والخارج واستطاع بجهوده أن يربط الاتصال([28]).

وهكذا يتضح لنا أن هالة التحديات التي واجهتها الثورة كانت كبرى، وأن قيادة الثورة في الداخل والخارج بذلت جهودا معتبرة في مجابهة التحديات وتليين الصعوبات، وبذلك استطاعت الثورة أن تدخل عام 1956 وهي أشد قوة وتلاحما في مجابهة المستعمر.

رابعا. عبان وجهود التنسيق السياسية في الداخل والخارج:

مثل انضمام عبان رمضان لصفوف الثورة في فيفري 1955 وتكليفه بمهمة الإشراف على مدينة الجزائر خطوة مهمة في تاريخ الثورة التحريرية، فبفضل شخصيته الكاريزماتية فرض نفسه كموجه لقيادة الثورة، وبفضل تكوينه السياسي والإيديولوجي أسدى للثورة خدمات جليلة.

فقد قام منذ مباشرة مسؤولياته في مارس 1955 بالدعاية اللازمة للتعريف بحقيقة الثورة وبأهدافها، ففي الوقت الذي كانت الدعاية الفرنسية تبث سمومها والبلبلة سائدة في أوساط المناضلين والشعب انتبه الى ضرورة تحرير بيان توجيهي، هدف من خلاله إلى إيقاظ ضمائر الجزائريين ودعوتهم للالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطني، والى هز أركان السلطة الفرنسية، وتضمن البيان التاريخي المؤرخ بيوم فاتح افريل 1955 تأكيدا على شرعية الكفاح الجزائري، ودعوة لجميع الجزائريين لدعم جبهة وجيش التحرير الوطني، وتحذير صريح لكل من يحاول الإضرار بالثورة([29])، وقد صاغ عبان العديد من البيانات الموجهة للرأي العام المحلي

والدولي، ومن أهمها بيان جوان 1955، والذي استهله بالقول: "إن جبهة التحرير الوطني هي عين وأذن جيش التحرير الوطني، على مناضلي الجبهة أن يقوموا بالمستحيل لتسهيل مهمة الجيش على جميع المستويات. إن جمع المعلومات يجب أن يكون هو العمل الأول لكل عنصر في الجبهة. إن أفواجنا المسلحة لا يمكن أن تعمل بنجاح إلا إذا توفرت لها معلومات دقيقة. لذلك فإن عمل البحث عن المعلومات يجب أن يسير جنبا إلى جنب مع عمل الدعاية اليومي..."([30])، وقد ضمنه توجيهات أخرى لمناضلي جبهة التحرير، منها التأكيد على الطابع الوطني لجبهة التحرير، فهي ليست صورة منسوخة لحركة الانتصار بل هي جبهة وطنية تجمع كافة الطاقات والشرائح، ورد البيان بحزم على سياسة "سوستيل" الإصلاحية، وفضح مفاوضاته مع العناصر المعتدلة ليخلص للتأكيد أن جبهة التحرير الوطني المكافحة وحدها تملك الحق في التكلم باسم الثوار، والى دعوة هذه العناصر (عباس، المركزيين...الخ) للالتحاق بصفوف الثورة([31])، ويبدوا واضحا أن الهدف من البيان كان استقطاب مختلف التوجهات السياسية والفئات الاجتماعية لجبهة التحرير الوطني.

ونهض عبان بمهمة الاتصال بقادة الحركات السياسية والشخصيات الليبرالية الفرنسية، وقد تفاوض مع عباس ومع الشيخ خير الدين والمركزيين وأقنعهم بالالتحاق بجبهة الثورة، وكانت له اتصالات مع المجموعة البرلمانية التي اقتنعت بمبدأ تقديم استقالتها في لفتة احتجاجية، ومع الليبراليين الفرنسيين الذين عملوا من أجل شرح القضية الجزائرية وكسب الدعم لها. وقد توجت جهوده بإنشاء التنظيمات الجماهيرية التي تخدم توجهات الكفاح الوطني، فأعلن عن إنشاء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين في 13 جويلية 1955، وعن الاتحاد العام للعمال الجزائريين في 24 فيفري 1956، وكذا الإتحاد العام للحرفيين والتجار الجزائريين في 14 سبتمبر 1956، وهذه الإلتحاقات بالجبهة مكنت الثورة من فرض نفسها والاستفادة من جميع الطاقات([32]).

وفي مدينة الجزائر أشرف عبان على إرساء نظام جبهة التحرير الوطني السياسي والعسكري، وبدأ باستقطاب العناصر الفدائية المصالية ثم كلف ياسف سعدي بإنشاء خلايا الفداء، والتي كان لها دور حاسم في إعطاء الهيبة لجبهة التحرير وإرساء تعليماتها، والرد على الأعمال الإجرامية لغلاة المستوطنين، وكانت معركتها الحقيقية تلك التي خاضتها عقب إضراب الثمانية أيام في بداية عام 1957.

ويرجع لعبان فضل ربط الاتصال بين قادة المناطق في الداخل وبين الداخل والخارج، فقد أرسل مبعوثيه الى زيغود صائفة عام 1955، والى قيادة منطقة وهران والاوراس، ووعدهم بقرب انعقاد مؤتمر وطني من أجل تنسيق الكفاح وتوحيده، كما تبادل مراسلات منتظمة مع قيادة الوفد الخارجي بالقاهرة كان لها الفضل في تبادل وجهات النظر وتنسيق المواقف وتوجيه التعليمات

الضرورية([33]). وعلى ضوء هذه الاتصالات صدرت الدعوة لعقد مؤتمر وطني جامع، وتكفل عبان بالتحضير لإنجاح المؤتمر، وخاصة ما تعلق بإعداد أرضية الميثاق التي أخذت منه جهدا ووقتا كبيرين.

الخاتمة:

ومما سبق استعراضه من تطورات عسكرية وسياسية للمرحلة الأولى من الثورة نخلص إلى تسجيل ما يلي:

- إن مجموعات جيش التحرير الوطني الأولى تحملت العبء الأكبر في التأكيد على استمرارية الثورة بعد اندلاعها، فرغم ظروفها التنظيمية وقلة الإمكانيات والسلاح واصلت تنفيذ إستراتيجية عمل ثورية للحفاظ على شعلة الثورة ملتهبة.
- لقد بذلت قيادة الوفد الخارجي جهودا كبرى وهي تعمل من أجل وحدة المعركة في الشمال الإفريقي وكسب الدعم العربي والدولي، وعلى الرغم مما يقال عن تقصير للوفد الخارجي في تأدية مهامه وخاصة مسألة التسليح فإن العمل العلني والسري الذي أنجز ساهم بفعالية في التعريف بالقضية الجزائرية سياسيا، وفي تشكيل تحالف شمال إفريقي موحد في وجه السياسة الفرنسية، وفي إرساء شبكات دعم لوجستيكية أدخلت كميات هائلة من الأسلحة.
- أنه وعلى الرغم من الصعوبات الحقيقية التي اعترضت سبيل الثورة خلال هذه المرحلة توفرت عوامل نجاح كثيرة ساعدت على صمود الثورة، وتعزى أسباب النجاح أساسا إلى عدالة القضية والتفاف الشعب حولها، وتفعيل جهود التنسيق والتواصل بين قيادات الثورة، والتحاق مختلف الأطراف السياسية والمنظمات الاجتماعية بصفوف جبهة التحرير الوطني.
- لقد أدى عبان رمضان بصفته منسقا وطنيا لجبهة التحرير الوطني دورا أساسيا في الإشراف على مدينة الجزائر، وفي تنظيم جبهة التحرير الوطني وكسب الأنصار لها، وفي التنسيق بين قيادات الداخل وبين قيادات الداخل والخارج، وهو أمر أضفى ديناميكية جديدة على تطور الثورة، وجعلها تتحدى المرحلة الصعبة المتمثلة في تثبيت نفسها وتحدي السياسة الفرنسية.

الهوامش:

[1] يمكننا أن نقرأ ملامح هذه السياسة في شهادة بوضياف : مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 1999، ص.ص 886.887

[2] انظر بخصوص هذه الإستراتيجية شهادة بن طوبال، حوار مع جريدة **الجمهورية**، الجزائر، عدد يوم 29 مارس 1982، ص 5، وأحسن بومالي: **استراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الاولى**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1998، ص 67 وما بعدها

[3] انظر شهادة ابن طوبال، جريدة **الجمهورية**، المصدر نفسه، ص5، ومحضر مؤتمر الصومام

[4] خالفة معمري: **عبان رمضان**، ترجمة زينب زخروف، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص 205

[5] شهادة بيطاط , Patrick Eveno et Jean Planchais, La guerre dAlgerie Dossier et temoinages , ed , Laphomic , Alger,1990, p 88 – 89

[6] ALLEG Henri et autres;**La Guerre d'Algérie** , ed ,Temps actuels Paris; T2, 1981,p 68

[7] انظر حول الموضوع ما كتبه محمد زروال ومحمد العربي مداسي، محمد زروال: **اشكالية القيادة في الثورة الجزائرية، الولاية الأولى نموذجا**، منشورات وزارة

[8] انظر علي كافي: **مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي الى القائد العسكري**، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999، ص . ص 69ـ 80، ومحمد العربي الزبيري: : تاريخ الجزائر المعاصر، ج2، دار هومة، الجزائر، 2004، ص . ص 42

[9] يحي بوعزيز : **الثورة في الولاية الثالثة**، دار الأمة، الجزائر، 2004، ص . ص 45 . 49، ومحمد عباس: **ثوار...عظماء**، دار هومة، الجزائر، 2003، ص . ص 121. 122

[10] شهادة اوعمران، محمد عباس : **المرجع نفسه**، ص . ص 186..188

[11] شهادة ابن علا ، محمد عباس: **فرسان الحرية**، (شهادات تاريخية)، دار هومة، الجزائر، 2003، ص . ص 54.61

12 وقع على الميثاق ممثلون عن جبهة التحرير الوطني وجمعية العلماء المسلمين ومصالي الحاج واللجنة المركزية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري.

13 انظر فتحي الديب : عبد الناصر والثورة الجزائرية، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص . ص، 76 .77، 644 . 645، والفضيل الورتلاني : **الجزائر الثائرة**، دار الهدى، عين مليلة، 1992، ص . ص، 219 . 221 .

[14] انظر بتفصيل، مقلاتي عبدالله: عبدالكريم الخطابي والثورة الجزائرية، **المجلة التاريخية المغاربية**، تونس، عدد 132، 2008، ص . ص 36ـ38

[15] انظرا عن هذا الاجتماع وما تمخض عنه، فتحي الديب : **المصدر السابق** , ص 73، وغلاب عبد الكريم : **ملامح من شخصية علال الفاسي**، مطبعة الرسالة، الرباط، 1974 , ص 143 .

16 أنظر حوار محمد بوضياف : جريدة **الإتحاد الديمقراطي**، المغرب، عدد يوم 1 نوفمبر .1982

[17] شهادة محمد يزيد المنشورة في ندوة **الدبلوماسية الجزائرية**، نضمها المركز ود ب ح و ث 1954،الجزائر، جوان 1996، منشورات المركز و د ب ح و ث، 1954،الجزائر، 1998، ص .109

[18] انظر رسالة الطيب سليم الى ادريس، الرشيد إدريس : **في طريق الجمهورية**، ط1 دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ص، .377

[19] انظر بتفضيل عن مؤتمر باندونغ وقضايا المغرب العربي، جوان غليسبي: **الجزائر الثائرة**، ترجمة خيري حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص 143 .

[20] نركز أساسا على شهادة ابن بلة وبوضياف، أنظر، أحمد بن بلة : **مذكرات أحمد بن بلة**، ترجمة العفيف الأخضر، ط2 ، دار الآداب، بيروت، 1979، ص،99 وما بعدها. ومحمد بوضياف، جريدة **الإتحاد الاشتراكي**، عدد 1 نوفمبر 1984.

[20] انظر فتحي الديب: **المصدر السابق** ، ص 100 وما بعدها، وعبد الله الصنهاجي: **مذكرات في تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1986**، مطبعة فضالة، المحمدية، 1986، ص. ص، 160.159

[21]Mohammed LEBJAOUI : **Verité sur le révolution Algerienne** ,ed; Gallimar, Paris, 1970 . P 135

[22] انظر تقرير محمد يزيد عن النشاط الخارجي لجبهة التحرير الوطني ، Mohammed Harbi, **Les Archives de la revolution Algerienne** ,ed, jeune Afrique ,Paris, 1981, p p 172 -174

[23] انظر شهادة ابن طوبال، حوار ، جريدة **الجمهورية**، عدد يوم 29 مارس 1982، ص 5

[24] انظر حول مشكلة التسليح ، احمد ابن بلة: **المصدر السابق**، ص98 وما بعدها، ومقلاتي عبدالله: **دور بلدان المغرب العربي وافريقيا في دعم الثورة الجزائرية**، منشورات وزارة الثقافة، دار السبيل، الجزائر، 2009، ج 1، ص 248 وما بعدها.

[25] انظر عن مشكلة الصراع بين الجبهة ومصالي، حربي محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل داغر، ط1 مؤسسة الأبحاث العربية - دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص. ص 143.127

[26] انظر محمد العربي الزبيري: **تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص. ص 45.42

[27] عن نشاط عبان وبياناته انظر، خالفة معمري: **المرجع السابق**، ص 205 وما بعدها

[28] انظر المنشور كاملا، BELHOCINE Mabrouke: **Courier –Alger- le Caire** , **1955-1956 et le congré de la Soumam dans la revolution** , Casbah ,Alger, 2000 , p p 88- 89

[29] المصدر نفسه

[30] CHIKH. Slimane, **op cit**, p 243 et après

[31] اغلب الرسائل المتبادلة حفظت في كتاب مبروك بلحوسين _BELHOCINE Mabrouke: **op cit**